

51

قصص

الأنبياء

عليه

عليه السلام (2)

يكلم الناس في المهد

بتأليف : آية الله العظمى محمد باقر الصدر

وسمى : آية الله العظمى السيد

إبراهيم : آية الله العظمى محمد باقر

مطهر



وَضَعَتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ مَوْلُودَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ
النَّخْلَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِأَنْ تَأْكُلَ مِنْ رُطْبِهَا الشَّهْيُ ، وَأَنْ
تَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَجْرَاهُ اللَّهُ تَحْتَهَا ..

ثُمَّ حَمَلَتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ وَلِيدَهَا ، وَسَارَتْ
بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا قَوْمُهَا
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهِيَ تَحْمِلُهُ تَعَجَّبُوا ،

وقالوا لها :

﴿ يَا مَرْيَمُ ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ
مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ *

[سورة مريم : ٢٧ ، ٢٨]

اتَّهَمُوهَا بِأَنَّهَا أَتَتْ بِفِعْلٍ مُنْكَرٍ .. وَبَخُوهَا وَعَنَّفُوهَا
لأنها من بيت صالح ، فكيف تأتي بهذا الفعل الشائن ؟ !
فقد كان أبوها عمرانُ قِمةً في التقوى والصَّلاح ،
وكان إمامَ بني إسرائيل في صلاتهم ، وأُمُّها سَيِّدةٌ
فاضلةٌ تَقِيَّةٌ ، فكيف تكونُ هي بهذه الدَّرَجَةِ من سُوءِ
السُّلُوكِ والأَخْلَاقِ ؟ !

وهكذا رَاحُوا يُوجِّهُونَ لها الاتِّهَامَات ، ولم تَرُدْ
عليهم مَرْيَمُ ، أو تنطق بكلمة واحدة ، دِفَاعًا عن
نَفْسِهَا من هذه الاتِّهَامَات الباطلة ، بل أشارت إلى
وَلِيدِهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام ، وَأَفْهَمَتْهُمْ أَنَّ يَكْلِّمُوهُ ..
تَعَجَّبَ الْحَاضِرُونَ ، وَاسْتَنْكَرُوا أَنَّ يَكْلِّمُوا طِفْلًا
رَضِيْعًا ، وقالوا لِمَرْيَمَ :

« كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ؟ ! » .

وفى الحال تكلّم عيسى عليه السلام قائلاً :

﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ، وَيَوْمَ أُمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ﴾ .

[سورة مريم : من ٣٠ - ٣٣]

هكذا شهد الناس ، وشهد كهنة بني إسرائيل
المعجزة ، وهي تقع أمام أعينهم ، وسمعوها بأذانهم ..
معجزة الطفل الذي تكلّم فى المهد ، وشهد لأمّه
بالبراءة مما اتهموها به ظلماً وعدواناً ..

وكان أول كلام تفوّه به عيسى عليه السلام أنّه اعترف
بالعبودية لله (تعالى) ، وأنّ الله ربّه وخالقه ، فنزه
الله عن قول الظالمين من أنّه ابن الله ، وبراً أمّه ممّا
رموها به من فعل منكر .. وأخبرهم أنّ

اللَّهُ (تعالى) قَدْ آتَاهُ الْكِتَابَ ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ،
وَجَعَلَهُ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كَانَ ، وَأَوْصَاهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ..
الصَّلَاةِ لِلَّهِ (تعالى) ، وَالْإِحْسَانَ إِلَى عِبَادِهِ بِالزَّكَاةِ ..
وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ (تعالى) بَرًّا بِوَالِدَتِهِ وَمُحْسِنًا إِلَيْهَا ،
وَمُطِيعًا غَيْرَ عَاقٍ وَلَا عَاصٍ لَهَا ..

كَمَا لَمْ يَجْعَلْهُ سُبْحَانَهُ جَبَّارًا شَقِيًّا ، أَيْ أَنَّهُ لَيْسَ
فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَنَافِي
أَمْرَ اللَّهِ (تعالى) ..

وَقَدْ سَلَّمَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَفْسِهِ ، فِي يَوْمِ مَوْلَدِهِ ،
وَيَوْمِ مَمَاتِهِ ، وَيَوْمِ يَبْعَثُهُ اللَّهُ (تعالى) حَيًّا ، فِي الْآخِرَةِ ..

هَذَا هُوَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ
بِكَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالَّذِي تَحَطَّمَتِ الْأَصْنَامُ
يَوْمَ مَوْلَدِهِ ، فَحَارَتِ الشَّيَاطِينُ فِي سَبَبِ ذَلِكَ ، حَتَّى
كَشَفَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْكَبِيرُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَدْ وُلِدَ ،
فَلَمَّا بَحَثُوا عَنْهُ وَجَدُوهُ فِي حِجْرِ أُمِّهِ ..

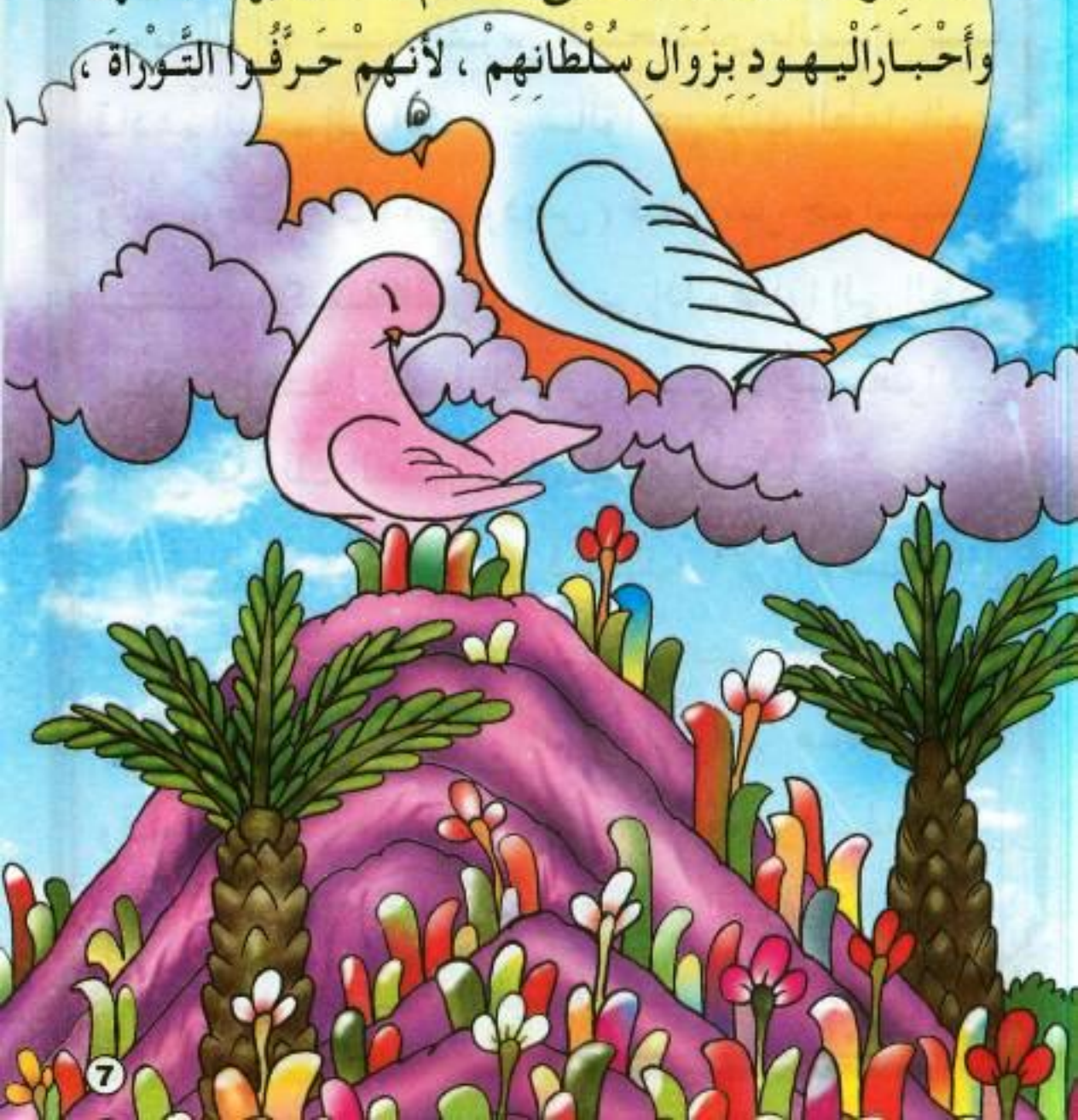
وَيُقَالُ : إِنَّهُ يَوْمَ مَوْلِدِهِ ظَهَرَ نَجْمٌ عَظِيمٌ فِي
السَّمَاءِ ، وَأَنَّ مَلِكَ الْفَرَسِ قَدْ أَشْفَقَ مِنْ ظُهُورِ هَذَا
النَّجْمِ ، فَسَأَلَ الْكَهَنَةَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ هَذَا
النَّجْمَ لَا يَظْهَرُ إِلَّا لِمَوْلِدِ عَظِيمٍ فِي الْأَرْضِ ..

وَيُقَالُ إِنَّ مَلِكَ الْفَرَسِ قَدْ أَرْسَلَ ثَلَاثَةَ مِنَ الْكَهَنَةِ
مُحْمَلِينَ بِالْهَدَايَا لِلطُّفْلِ وَأُمِّهِ ، وَإِنَّهُمْ سَارُوا وَرَاءَ
النَّجْمِ يَتَّبِعُونَ أَثَرَهُ لِيَقُودَهُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَادَهُمُ النَّجْمُ إِلَى الشَّامِ ..

وَقَدْ كَانَتِ الشَّامُ وَفِلَسْطِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ تَحْتَ
حُكْمِ الرُّومَانِ .. وَكَانَ يَحْكُمُ الشَّامَ وَفِلَسْطِينَ مَلِكٌ
يُسَمَّى (هَيْرُودُس) ، وَكَانَ مَلِكًا طَاغِيَةً جَبَّارًا .. فَلَمَّا
عَلِمَ مِنْ جَوَاسِيسِهِ أَنَّ طِفْلًا قَدْ وُلِدَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،
وَأَنَّ هَذَا الطِّفْلَ قَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، وَقَالَ إِنَّهُ نَبِيٌّ ،
وَإِنَّهُ عَلَى يَدَيْهِ سَوْفَ يَكُونُ خَلَاصُ شَعْبِ الْيَهُودِ ،
غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ..

وَيُقَالُ إِنَّ (هَيْرُودُسَ) قَدْ اسْتَدْعَى كَهَنَةَ

اليهود ، من بيت المقدس ، وسألهم عن ذلك الطفل
النبي الذي تكلم في المهد ، فأنكر كهنة اليهود ذلك ،
برغم أنهم قد رأوا الطفل وهو يتكلم وشاهدوا
معجزته ، لأن هذا النبي القادم ، كان يهدد كهنة
وأحبار اليهود بزوال سلطانهم ، لأنهم حرقوا التوراة ،

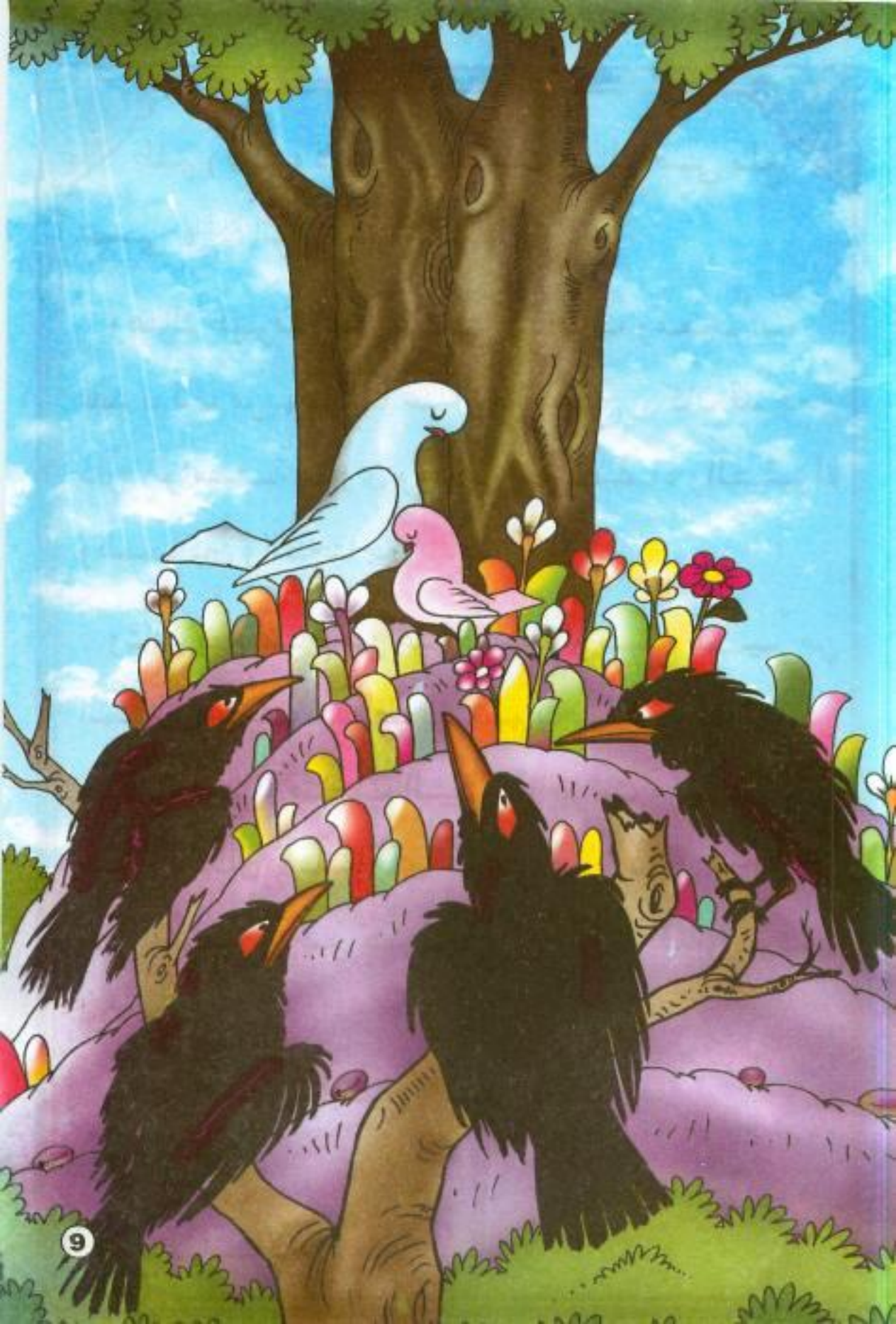


وَزَيَّفُوهَا حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ وَأَغْرَضَهُمْ ..

وَلَمْ يَكْتَفِ كَهَنَةُ الْيَهُودِ وَأَحْبَارُهُمْ بِإِنْكَارِ مُعْجَزَةِ
الطُّفْلِ النَّبِيِّ الَّذِي تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، بَلِ اتَّهَمُوا أُمَّه
ظُلْمًا وَبُهْتَانًا ..

وَيُقَالُ إِنَّ كَهَنَةَ الْفُرْسِ الْمُحْمِلِينَ بِالْهَدَايَا لَمَّا
قَادَهُمُ النُّجُمُ إِلَى الشَّامِ ، سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ الطُّفْلِ الَّذِي
وُلِدَ ، وَيُقَالُ إِنَّ (هَيْرُودُسَ) قَدْ أَرْسَلَ جَوَاسِيسَهُ
لِيَتَّبِعُوا كَهَنَةَ الْفُرْسِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى الطُّفْلِ
قَتَلُوهُ ، وَقَتَلُوا كَهَنَةَ الْفُرْسِ ، حَتَّى لَا يُشِيعُوا بَيْنَ
النَّاسِ نَبَأَ ذَلِكَ الطُّفْلِ ، الَّذِي سَيَصِيرُ نَبِيًّا ..

وَيُقَالُ إِنَّ كَهَنَةَ الْفُرْسِ قَدْ فَشَلُوا فِي الْوُصُولِ إِلَى
عِيسَى وَأُمَّه ، وَإِنَّ (هَيْرُودُسَ) قَدْ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا
وَأَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ..
وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَى مَرْيَمَ مِنْ يَأْمُرُهَا بِالْهَجْرَةِ بِوَلَدِهَا إِلَى
مِصْرَ ، حَتَّى لَا يَقْتُلَهُ (هَيْرُودُسُ) الطَّاغِيَةُ الظَّالِمُ ..
هَاجَرَتْ مَرْيَمُ بِطِفْلِهَا إِلَى مِصْرَ ، هَرَبًا مِنْ



ظلم (هيرودوس) ، وبقيت هناك حتى بلغ

عيسى عليه السلام اثني عشر عاماً ..

وهناك ظهرت على عيسى كرامات ومعجزات ..
فقد نزلت مريم بابنها عند رجل صالح ، كان قد جعل
داره الواسعة مأوى وسكناً للضعفاء والفقراء
والمساكين والمحتاجين ..

وذات يوم ضاع من صاحب الدار مبلغ كبير من
المال ، بحث عنه طويلاً فلم يجده ، ولم يدر من
سرقه ، وحزن صاحب البيت ، وحزنت مريم من أجل
ضياع المال ، فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك توجه إلى
رجل أعمى وآخر كسيح من سكان الدار ، وقال
للأعمى :

- احمل هذا الكسيح وانهض به ..

فقال الأعمى :

- لا أستطيع ..

فقال عيسى عليه السلام :

- بل تستطيع ، كما فعلت ذلك أنت وهو ، حين
أخذتما المال من تلك الكوة من الدار ..

فلم يستطع الأعمى والكسيح إنكار أنهما سرقا
المال ، وأحضرأه على الفور ..

ومن ذلك اليوم اشتهرت كرامات عيسى ، وعظم
أمره بين الناس ، وهو لم يزل صغيراً جداً ..

ومن معجزات عيسى عليه السلام في تلك الفترة ، أن
صاحب الدار قد أقام حفلاً ، فاجتمع عنده ناس
كثيرون ، فأطعمهم ، ثم أراد أن يسقيهم شراباً ، فلم
يجد في جواره شيئاً من الشراب ، فعز عليه ذلك
وأحزنه .. فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك ، نهض وأخذ
يمر على تلك الجرار ، ويمد يده ، فيلمس فوهة
كل جرة ، فلا يلمس جرة ، إلا وتملأ بالشراب عن
آخرها ، حتى امتلأت كل الجرار ، فشرب الناس
جميعاً ، وزاد الشراب عن حاجتهم ..

فَعَظَّمُوا عَيْسَى ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ
أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، لَكِنَّهُمَا رَفَضَا أَخَذَ شَيْءًا ..

وَلَمَّا مَاتَ الطَّاغِيَةُ (هِيروُدوسُ) ، وَأَمِنَ النَّاسُ شَرَّهُ ،
عَادَتْ مَرْيَمُ وَابْنُهَا عَيْسَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَانَ
عُمُرُهُ وَقْتُهَا اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا ..

عَادَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَنْشُرَ الرَّحْمَةَ وَالْعَدْلَ وَالْخَيْرَ
بَيْنَ الضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَظْلُومِينَ ..
وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ ..

وَكَبِرَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى صَارَ شَابًّا ..
وَخِلَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ ، كَانَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَائِمًا
التَّعَبُّدَ لِلَّهِ ، دَائِمًا التَّأَمُّلَ فِي مَلَكُوتِهِ ..

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَرَى الظُّلْمَ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى أَرْضِهِ ،
وَيَرَى الْمَلَائِينَ مِنَ الْمَظْلُومِينَ وَالْمُضْطَهَّدِينَ .. لَيْسَ
الْمَظْلُومُونَ عَلَى أَيْدِي الْحُكَّامِ وَالْمُلُوكِ فَقَطْ ، وَلَكِنْ
أَيْضًا الْمَظْلُومُونَ بِأَيْدِي الْكَهَنَةِ وَالْأَحْبَارِ وَرِجَالِ
الدِّينِ ، الَّذِينَ أَغْرَاهُمْ بَرِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،

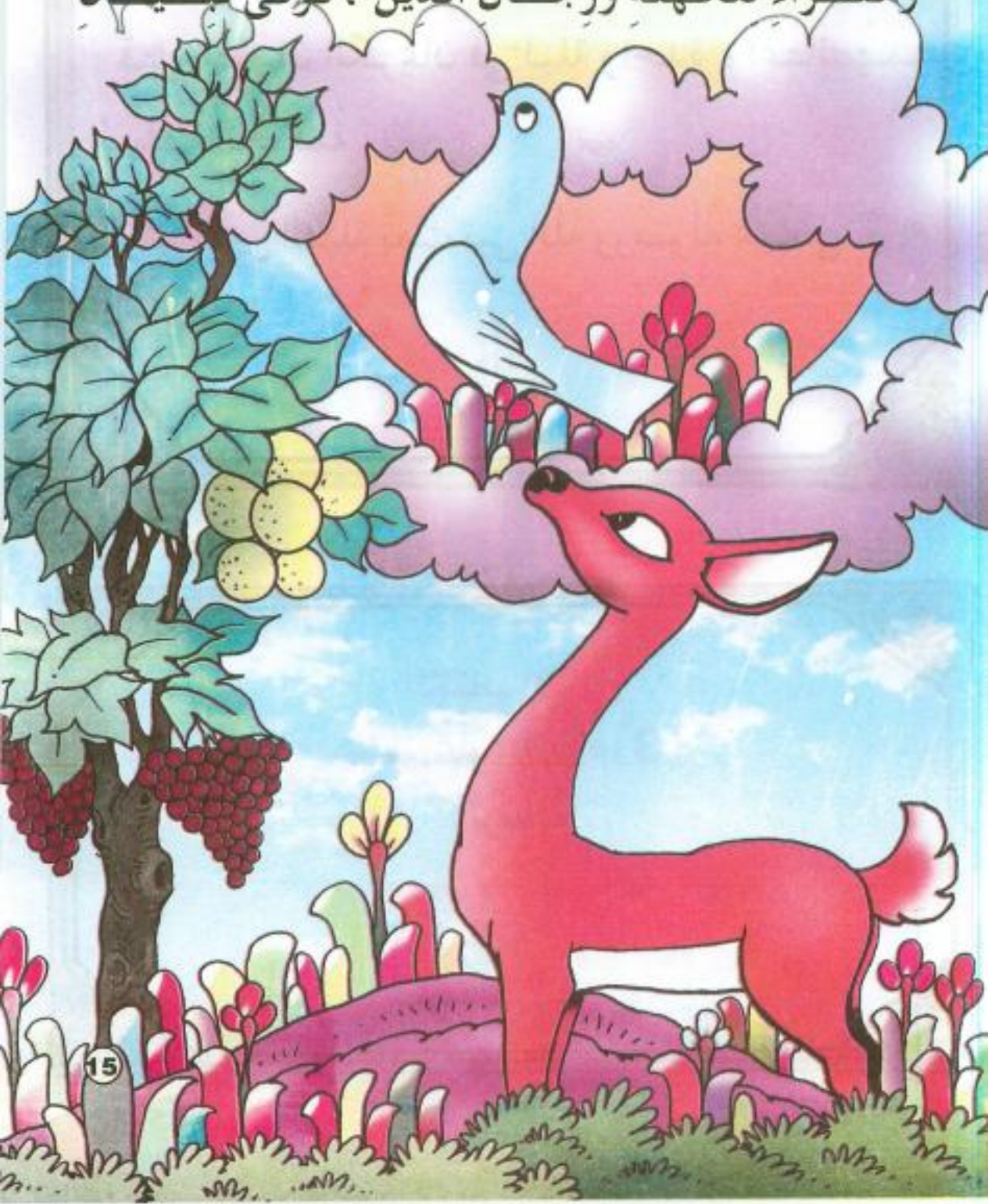


فَأَثَرُوا ثَرَاءً رَهِيْبًا مِنَ الْاِتِّجَارِ فِي الدِّينِ ،
وَبِيعَ الْغُفْرَانَ لِلنَّاسِ نَظِيرَ نَقُودِهِمْ ..

رَأَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِجَالَ الدِّينِ وَهُمْ يَخْتَالُونَ فِي
أَرْدِيَّتِهِمْ وَمَلَابِسِهِمُ الْمُزَخْرَفَةَ بِخِيُوطِ الذَّهَبِ ، بَيْنَمَا
الْفُقَرَاءُ مِنَ الشَّعْبِ لَا يَجِدُونَ رَغِيفَ خُبْزٍ يَأْكُلُونَهُ ..

وَرَأَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آلَافَ الْقِيُودِ وَالتَّحْرِيْمَاتِ الَّتِي
وَضَعَهَا الْكَهَنَةُ وَرِجَالَ الدِّينِ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ ، وَالَّتِي
مَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، خَاصَّةً التَّحْرِيْمَاتِ
الَّتِي وَضَعُوهَا عَلَى يَوْمِ السَّبْتِ .. حَرَامُ قَطْفِ الثَّمَارِ
يَوْمَ السَّبْتِ .. حَرَامُ الزَّرْعِ أَوْ الْحَصَادِ يَوْمَ السَّبْتِ ..
حَرَامُ الْحَرْبِ أَوْ الدَّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ يَوْمَ السَّبْتِ .. حَرَامُ
نَقْلِ شَيْءٍ مِنْ خَارِجِ الْمَنْزِلِ إِلَى دَاخِلِهِ يَوْمَ السَّبْتِ ..
حَرَامُ السَّفَرِ لِمَسَافَةٍ أَبْعَدَ مِنْ أَلْفِي يَارْدَةٍ يَوْمَ السَّبْتِ ..
وغيرها آلافٌ مِنَ التَّحْرِيْمَاتِ ، الَّتِي وَضَعَهَا الْكَهَنَةُ ،
وَالَّتِي تَحَايَلُوا هُمْ عَلَيْهَا ، وَتَرَكُوا النَّاسَ يُعَانُونَ
وَيَلَاتُهَا ..

ووسطَ هذا الجوّ المشحون بالظلم والألم
للْبُسطاءِ مِنَ النَّاسِ ، والمَشْحُونِ بالذَّهَبِ وَ الرِّفَاهِيَةِ
والشَّرَاءِ لِلْكُهْنَةِ وَرِجَالِ الدِّينِ ، تُوَفَّى نَبِيَّانِ



كَرِيمَانِ أَثْنَى اللَّهِ (تَعَالَى) عَلَيْهِمَا ، هُمَا
نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَّا ، وَابْنُهُ يَحْيَى (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ..

قُتِلَ النَّبِيُّانِ الْكَرِيمَانِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، اغْتَالَتَهُمَا
السُّلْطَةُ الْحَاكِمَةُ ..

وَفِي نَفْسِ اللَّيْلِ بُعِثَ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى النَّاسِ ..

(يَتَبَعُ)

الكتاب التالي

عيسى عليه السلام (3)

الرسالة

احرص على اقتنائه

رقم الإيداع : ٧٤٠٦

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٢٦٦ - ٦٠٣